محاضرات الشعر الإحيائي/ د.سامية إدريس

السنة الأولى ماستر/تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

**تحديدات اصطلاحية**

**(النهضة/ الإحياء/ التقليد/ الاتباع/ الكلاسيكية)**

لا يمكن الخوض في مفاهيم المصطلحات أو التعرف على تشابكها الدلالي ما لم نحل إلى تعاريفها اللغوية، ونضعها في السياق الذي نوظفها فيه للوقوف عند معانيها الاصطلاحية، فألفاظ الإحياء، التقليد، الاتباع في تاريخ الشعر العربي الحديث تكتسب معناها فقط ضمن الشرط التاريخي للنهضة الأدبية.

النهضة في اللغة العربية من الفعل الثلاثي "نهض" نهْضا ونهوضا، وهي تدل على مجموعة من المعاني تعود إلى محورين هما الدلالة على الحركة والقيام والدلالة على القوة والطاقة والمقاومة، يقال: نهض من مكانه إلى كذا، ونهض إلى العدو": أسرع إلى ملاقاته، والنهضة الطاقة والقوة، والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أوغيره [[1]](#footnote-1).

وفي اللغة الأجنبية، تعني Renaissance "الإحياء والبعث"، وهي تتحدد زمنيا في أوربا حسب معجم كولينز (1979) : " إنها فترة من التاريخ الأوربي تفصل العصور الوسطى الآفلة وبزوغ العالم الحديث، وعادة ما تعتبر إيطاليا نقطة بدايتها في القرن الرابع عشر".

لكن للنهضة معنى اصطلاحيا يتجاوز تحديدها الزمني المباشر إذا ما ربطناها بفكرة الإحياء والبعث، حيث تأتي النهضة بعد فترة ركود وموت يعقبها انتعاش وبعث، إذ جاءت النهضة الأوربية بعد العصور الوسطى التي وصفت عموما بأوصاف سلبية، وإذا ما تساءلنا عن ما يتم بعثه وإحياؤه، عندئذ تكون الإجابة المنطقية إحياء الثقافة الكلاسيكية، فقد قامت النهضة الأوربية لإعادة بعث الأدب اليوناني والروماني، وهي دعامة المذهب الكلاسيكي الذي ما لبث أن ظهرت بعده مذاهب أدبية أخرى[[2]](#footnote-2).

وبالعودة للسياق العربي، فقد أطلق مصطلح "عصر النهضة" على الفترة التي تمتد من حملة نابليون على مصر أواخر القرن 18م إلى غاية العقود الأولى من القرن 20م، وقد جاءت بعد فترة ركود طويلة، وعزلة عاشها العالم العربي والإسلامي تحت المظلة العثمانية، وأعقبت ما يتعارف عليه مؤرخو الأدب بـ"عصور الانحطاط"، وكان طموحها الأول هو بعث وإحياء الثقافة والأدب العربي والإسلامي في عصور زهوه وازدهاره.

الإحياء: ورد في معجم المعاني الجامع ما يلي:

« إِحياء: (اسم) مصدر أَحْيَا

\* مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى : عَلَى إِعَادَةِ بَعْثِ الحَيَاةِ فِيهَا

\* إِحْيَاءُ الأَرْضِ : إِخْصَابُهَا ، جَعْلُهَا صَالِحَةً للزِّرَاعَةِ

\* قَامَ الشّعْبُ بإحْيَاءِ ذِكْرَى عِيدِ الاسْتِقْلاَلِ : الاحْتِفَاءُ بِذِكْرَى الاسْتِقْلاَلِ

\* عِلْمُ الأَحْيَاءِ : عِلْم يَبْحَثُ فِي مُجْمَلِ الكَائِنَاتِ الحَيَّةِ حَيَوانِيَّةٍ أوْ نَبَاتِيَّةٍ وَيُعَرِّفُ بِإِنْتَاجِهَا وَعَلاقَاتِهَا وَتَطَوُّرِهَا

\* بعث الحيويّة والنشاط والإنعاش والتجديد

\* إحياء التُّراث الأدبيّ : ( آداب ) نشر الأدب العربيّ القديم واتّخاذه مثالاً رفيعًا في الإنتاج الأدبيّ

\* إحياء علوم الأدب : ( آداب ) تسمية أطلقت على حركة إحياء التراث القديم اليونانيّ والرومانيّ في الحياة الأدبيّة لعصر النهضة في الغرب

\* مدرسة الإحياء والبعث : مدرسة أدبيّة عربيّة ساعدت على نهضة الأدب ، رائدها البارودي»[[3]](#footnote-3)

ورد في معجم المصطلحات الأدبية :

«إحياء علوم الأدب revival of learning

ما حدث في عصر النهضة في أوربا من نزوع لإحياء ودراسة العلوم والآداب اليونانية والرومانية.

إحياء revivalism

1. نزعة العودة إلى كل ما هو قديم وإحيائه من جديد.
2. تقديم جديد لفلم أو مسرحية أو أي عمل فني.
3. إعادة إيقاظ وإنهاض إيماني، أو اهتمام بالدين، ويتميز ذلك غالبا بالوعظ العاطفي والبيانات الهامة للهداية والإرشاد.»[[4]](#footnote-4)

إن معاني الإحياء لغة تتمحور حول دلالة البعث وإعادة الحياة من جديد، في الاصطلاح تشير إلى حركة واسعة من تحقيق المخطوطات والتأليف والنشر لأمهات الكتب والأعمال العلمية والأدبية القديمة، فمهاد أي نهضة هو الرجوع إلى المكاسب الحضارية العريقة، وتمثّلها من جديد، وهو ما عرفته النهضة الغربية كما النهضة العربية، حيث شمل الإحياء علوم الدين في إطار ما يعرف بالحركة الإصلاحية، وعلوم اللغة العربية والأدب والشعر على الخصوص، وقد « عد الشعر الإحيائي مدرسة شعرية كلاسيكية جديدة، ظهرت في عصر النهضة الأدبية العربية في أواخر القرن التاسع عشر، وامتدت إلى الربع الأول من القرن العشرين. رائدها الأول الشاعر المصري محمود سامي البارودي  (1839هـ/1904م) الذي أشاد عميد الأدب العربي طه حسين بموهبته قائلًا: "أصبح فذًّا من حيث إنه استطاع أن يرد إلى الشعر العربي من القوة وجزالة اللفظ ورصانة الأسلوب ودقة المعنى ما كان قد بعد به العهد وطالت عليه القرون"»[[5]](#footnote-5)

من الملاحظ أن الاتجاه الإحيائي في الشعر العربي الحديث أطلقت عليه عدة تسميات، تصب جميعها في الدلالة ذاتها، ومنها: مدرسة الإحياء والبعث، ومدرسة النهضة، والمدرسة الاتباعية، المدرسة الكلاسيكية، والاتجاة التقليدي في الشعر العربي الحديث ...الخ وقد سبق وأن أشرنا إلى مسميات "الإحياء" و"النهضة"، وسنفصل الحديث فيما يلي عن مصطلحات: الاتباعية، التقليد والكلاسيكية.

يشير الباحث محمد بنيس في كتابه "الشعر العربي الحديث؛ بنياته وإبدالاتها 1- التقليدية" إلى أن استعمال مصطلح الاتباع يكثر في سوريا ولبنان في حين يطغى مصطلح "التقليد" في دول شمال إفريقيا خاصة مصر. وقد جاء في معجم المعاني الجامع طائفة من المعاني منها :

« تَقليد: (اسم). الجمع : **تقاليدُ .** مصدر قلَّدَ

* + **تَقْليدٌ** نَقَلَهُ الخَلَفُ عَنِ السَّلَفِ : ما يَتَوارَثُهُ الإِنْسانُ مِنْ عاداتٍ وَعَقائِدَ ومُمارَساتِ أَساليبِ السُّلوكِ وَمَظاهِرِهِ العامَّةِ
  + يُحاوِلُ **تَقْليدَ** الآخَرينَ : السَّيْرَ على مِنْوالِهِمْ ،
  + تزييف ، نقل قطعة فنيَّة أو لوحة عن الأصل
  + **تقليد** حرفيّ / **تقليد** أعمى : محاكاة نصّ قديم والاحتذاء به بدون أي ابتكار
  + **تقليد** إيمائيّ : فن **تقليد** الصوت والحركة

1. تقلِيد: (اسم). **تقلِيد** : مصدر قَلَّدَ
2. قَلَّدَ : (فعل). **قلَّدَ** يقلِّد ، تقلِيدًا ، فهو **مقلِّد** ، والمفعول **مقلَّد** 
   * **قلَّد** فلانًا : اتَّبعه فيما يقول أو يفعل من غير تأمّل ولا دليل ، حاكاه واقتدى به
   * قَلَّدَهُ القِلاَدَةَ : جَعَلَهَا فِي عُنُقِهِ
   * قَلَّدَهُ وِسَاماً : مَنَحَهُ إِيَّاهُ بِوَضْعِهِ فِي عُنُقِهِ أوْ صَدْرِهِ
   * قَلَّدَهُ القَضَاءَ فِي الْمَدِينَةِ : أَقَامَهُ قَاضِياً فِيهَا
   * **قلَّد** إمضاءَ المدير : زوَّره ، زيَّفه
   * قلَّده المنْصِبَ : أسنده إليه ، فوَّضه إليه ، ولاَّه
   * قَلَّدَهُ البَدَنَةَ : عَلَّقَ في عنقها شيئًا ليُعلم أَنها هَدْيٌ
   * قَلَّدَهُ فلانًا السَّيْفَ : ألقى حِمالتَهُ في عنقه
   * **قلَّد** فلانًا نِعمةً : أَعطاه عطيّةً أَو أَسدى إِليه معروفًا
   * وقلَّدَه قِلادة سوءِ : هجاه هجاءً يلازمه أَثَّره
   * قَلَّدَهُ فلانًا الأمرَ أَو العملَ : فوَّضَهُ إِليه وأَلزمه إيَّاه
   * **قُلِّدَ** الشَّيْخُ حَبْلَه : خَرِفَ فلا يُلْتَفَتُ لرأْيه»[[6]](#footnote-6)

فالتقليد لغة يتضمن دلالتين محوريتين هما: إسناد الشيء، ومنه تقليد المنصب، و تقليد الحليّ، واستنساخ أو اشتقاق شيء عن آخر ومنه تقليد الإمضاء أو النقود أو التحف والمجوهرات أي تزييفها، وتقليد الأعمال الفنية والأدبية أي محاكاتها والنسج على منوالها أو احتذاؤها.

«والتقليد في معانيه الأدبية العامة: يشمل محاكاة كل ما تواضع عليه الأدباء قديما من صور بلاغية وتركيبات أسلوبية توارثها عنهم الأدباء المعاصرون»[[7]](#footnote-7).

أما الاتباع فمن الفعل تبع، وفي لسان العرب : «تبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال وتبعت الشيء تبوعا: سِرت في إثره؛ واتبعه وأتبعه وتتبعه قفاه وتطلبه متبعا له وكذلك تتبعه وتتبعته تتبعا (...) وتبعت القوم تَبَعا وتباعة إذا مشيت خلفهم أو مرّوا بك فمضيت معهم»[[8]](#footnote-8). ومنه صيغت لفظة الاتباعية، « وحينما نستعمل هذا الجذر اللغوي (تبع ) في المصطلح الأدبي فإنما نعني به أن شاعرا تبع آخر سبقه فكان له كالظل أو تأخر عنه قليلا فمشى خلفه، أو لحق به فمضى معه في طريق واحدة وما زال يتطلبه. » [[9]](#footnote-9)، وهي عند معظم الدارسين مرادف للمذهب الكلاسيكي أو المدرسة الكلاسيكية في الشعر العربي، فالاتباعية ترجمة عربية لمصطلح الكلاسيكية، في حين أن الكلاسيكية تعريب للمصطلح الأجنبي نفسه، وتعني من الناحية اللغوية في معجم روبير «"(من كلاسيكي classique: كلمة خلقت حوالي 1825 مقابل الرومانسية ). مجموع الخصائص المقصورة على الأعمال الأدبية والفنية الكبرى لكل من القديم والقرن 17. وحدة النزعة الديكارتية والفن في الكلاسيكية (كما يقول لانسون) " والكلاسيكية كصفة:

"مأخوذة من Classisus اللاتينية في القرن 16، وتعني "من الطبقة الأولى " وتدلّ:

1/ على الاستعمال في الأقسام [الدراسية].

2/ ما ينتمي للقديم الإغريقي – اللاتيني، المعتبر كقاعدة للتربية والحضارة.

3/ ما يعود لكبار كتاب القرن 17 لعهدهم ( وتستعمل على الخصوص مقابل الرومانسي).

4/ في الاستعمال الموسع، ما يعتبر كنموذج، ما يملك سلطة في إحدى المواد"»[[10]](#footnote-10).

فالكلاسيكية مذهب أدبي غربي، نشأ في فرنسا في القرن السابع عشر وانتشر منها إلى عموم أوربا، قبل أن يظهر في الأدب العربي، وللأدب الكلاسيكي عدة خصائص « من أهمها أنه يستوحي الآداب اللاتينية واليونانية ويستخدمها مادته، كما أنه أدب يصدر عن العقل، ويحكمه العقل، أهم صفاته الاعتدال والوضوح، كما يعنى بالصياغة وتجويد الأسلوب، ويخضع لأصول وقواعد، (...) هذا ما فعله البارودي مع الشعر العربي، عندما بعثه من أزهى عصوره، وعاد به لقوة الصياغة، وخلصه من الركاكة، فتلك كانت حركة الإحياء في الشعر العربي، التي بدأت أواخر القرن الثامن عشر، واستغرقت القرن التاسع عشر حتى أوائل لقرن العشرين، على غرار حركة الإحياء التي قامت في أوربا في القرن الخامس عشر، حيث اعتمد الأوربيون على الأدب الإغريقي، يحتذون به»[[11]](#footnote-11).

لا شك أن المصطلحات التي توقفنا عندها تتداخل ضمن مساحة دلالية مشتركة، لكن ذلك لا يعني أنها مترادفة كلية، إذ توجد فروق دلالية بينها، حيث يستعمل مصطلح "النهضة" أكثر ما يستعمل للإشارة إلى سياق تاريخي تفاعلت فيه جملة من العوامل، كان لها أثر على الناحية الأدبية، أما مصطلح "الإحياء" فهو من لوازم أي نهضة، ويشير إلى جهد البعث والنشاط الفكري الذي يؤدي إلى استخراج واستعادة روائع التراث، ونماذج الأدب العظيم في عصور ازدهاره بعد انقطاع الصلة بها حقبا طويلة، والعمل على نشرها، والتشبع بها، أما "التقليد" فهو خاصية فنية نسبيّة، لا تكتسب معناها إلا في مقابلتها بالتجديد، ففي كل زمان يوجد تقليد وتجديد، فإذا أخذنا الشعر المهجري مثلا، سنقول أنه مجدد قياسا بالشعر الإحيائي، لكنه يعد تقليديا إذا ما قارناه بشعر التفعيلة، فمقاييس التقليد والتجديد مرنة ومتغيرة حسب استعمالنا لها.

أما الاتباعية، فهي المصطلح الذي ترجم به بعض الدارسين العرب نظيرة الأجنبي الكلاسيكية، في حين فضل آخرون تعريبه حرفيا، وكلاهما يعين مذهبا فنيا ومدرسة شعرية ذات خصائص ومميزات متعارف عليها، على ما بين الكلاسيكية الغربية ومثيلتها العربية من فارق زمني وثقافي.

1. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص958، 958. [↑](#footnote-ref-1)
2. جورج بارفيت: "عصر النهضة"، موسوعة الأدب والنقد، مجموعة مؤلفين، ترجمة عبد الحميد شيحة، الجزء الأول، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ص 179 وما بعدها. [↑](#footnote-ref-2)
3. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A5%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A1/ [↑](#footnote-ref-3)
4. نواف نصار: معجم المصطلحات الأدبية عربي-إنجليزي، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009، ص15. [↑](#footnote-ref-4)
5. آمال موسى: سوسيولوجيا الخطاب الشعري الإحيائي.. ثالوث الذاكرة والتراث والهوية، الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوثوالدراسات الإسلامية، على الرابط <http://www.alfaisalmag.com/?p=5934> تاريخ التحميل 29/10/2017. [↑](#footnote-ref-5)
6. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%AF/ [↑](#footnote-ref-6)
7. مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان، ط2 (مزيدة ومنقحة)، 1984، ص117. [↑](#footnote-ref-7)
8. لسان العرب نقلا عن محمد بنيس : الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها 1- التقليدية"، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2001، ص78. [↑](#footnote-ref-8)
9. د.نسيب النشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص13. [↑](#footnote-ref-9)
10. محمد بنيس : الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها 1- التقليدية"، ص76. [↑](#footnote-ref-10)
11. فاتن السيد: مدرسة الإحياء بزعامة شوقي وحافظ، البيان\_الكويتية، العدد رقم 451/1 فبراير 2008، ص11. [↑](#footnote-ref-11)